آيات الأحكام
مِن تفسير التبيان

للشيخ الطُّوسي (قدس سره)
(٣٨٥ - ٤٦٠ هـ. ق)

الجُزء الأوَّل

تَصنِيف وتَحقِيق قِسمُ الفِقه
في مَجمَع البُحوثِ الإسلامِيَّة

www.ketab.ir

سرشناسه طوسيّ، محمّد بن حسن، ۳۸۵-۴۶۰ق. Tusi, Muhammad bin Hasan
عنوان قراردادی التبيان في تفسيرالقرآن. برگزيده
عنوان و نام پدیدآور آيات‌الأحكام من تفسيرالتبيان/ للشيخ الطوسيّ قدس‌سره ۳۸۵ - ۴۶۰ هـ.ق، تصنيف و تحقيق قسم‌الفقه في‌المجمع‌البحوث‌الإسلاميّه.
مشخصات نشر مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّه، ۱۳۹۵.
مشخصات ظاهری ج.
ISBN/ISSN دوره : 978-600-06-0114-0 ج ۱ : 978-600-06-0115-7
وضعیت فهرست نویسی فیپا
یادداشت عربی.
یادداشت کتابنامه.
موضوع تفاسیر شیعه — قرن ۵ق.
موضوع Qur'an -- Shiite hermeneutics -- 11th c...
موضوع ...ن — احکام و قوانین
موضوع Qur'an -- Law and legis...
موضوع ...سیر فقهی — ...
موضوع Qur'an -- *Legislative hermeneutics -- Shiite
شناسه افزوده بنیاد پژوهشهای اسلامی. گروه فقه
شناسه افزوده بنیاد پژوهشهای اسلامی
رده دیویی ۲۹۷ / ۱۷۴۶
رده کنگره ۱۳۹۵ ۲۰۱۲ ت ۹ ط / BP۹۳
شماره کتابشناسی ملی ۴۳۷۷۹۷۷

آيات‌الأحكام من تفسير التبيان

الجزء الأول

للشّيخ الطوسيّ قدس‌سره

تصنيف و تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة
الطبعة الأُولى: ۱۴۳۷ق. / ۱۳۹۵ش. / ۵۰۰ نسخه، وزيری / الثمن: ۲۳۰۰۰۰ريال إيرانی
الطباعة: مؤسّسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ۳۶۶-۹۱۷۳۵
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ۳۲۲۳۰۸۰۳
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ۳۲۲۳۳۹۲۳، (قم)۳۷۷۳۳۰۲۹
www.islamic-rf.ir info @islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للناشر

www.ketab.ir

تصديرٌ

الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب، وجعله تبياناً لكلّ شيء، وهدىً للناس وشفاءاً لما في الصدور، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وأشرف رسله، الذي شرع له من الدين ما وصّى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وعلى أهل بيته المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وبعد: فإنّ القرآن الكريم معجزة إلهيّة خالدة للإسلام، وكتاب هداية للبشر، ودستور للحياة الطيّبة الإنسانيّة، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام، ويهدي للتي هي أقوم.

إنّ إعجاز القرآن له أبعاد كثيرة، ويكون تحدّيه من جوانب مختلفة، كالفصاحة والبلاغة، وعدم الاختلاف فيه، وشمول معارفه وأحكامه لجميع ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه ومعاده، وأيضاً في نظام تشريعه ودوره لتاسيس الحضارة الإنسانيّة الراقية. فهذا الكتاب القيّم يشتمل على المعارف الإلهيّة المرتبطة بأمر المبدء والمعاد والوحي والنبوّة والإمامة والولاية وعالم الملك والملكوت، وأيضاً: مشتمل على المسائل الأخلاقيّة المرتبطة بشؤون حياة الإنسان.

www.ketab.ir

وقسم كثير من آياته الشريفة مبيّن للأحكام الفرعيّة العمليّة الفقهيّة التي تُسمّى عند الفقهاء والمفسّرين بآيات الأحكام. وعلى الفقيه المستنبط أن يرجع إلى هذه الآيات، ويتقن الفهم في تفسيرها. كما يجب عليه الرجوع إلى الروايات الصادرة عن النبيّ الأكرم وأهل بيته الطاهرين، المبيّنة والمفسّرة لهذه الآيات. ولاخلاف بين المحقّقين من الأُصوليّين في حجّيّة ظواهر هذه الآيات بعد الرجوع إلى الروايات، والفحص عن مضامينها من حيث التخصيص والتقييد وسائر الجهات. فالقرآن الكريم مصدر من أسمى مصادر التشريع وأعلاها، وأتمّ معيار وميزان لسائر المصادر.

ولأجل هذا كان اهتمام العلماء والفقهاء بهذا النمط من الآيات الكريمة ملحوظاً من زمان التشريع إلى عصورنا الحاضرة.

فمنهم: من ألّف كتاباً مستقلّاً في شروحها وتفسيرها، واستنبط منها فوائد فقهيّة. كالمحقّق البارع الفاضل المقداد في كتابه الشريف المسمّى بـ«كنز العرفان في فقه القرآن». والمحقّق الأردبيلي في كتابه المسمّى بـ«زبدة البيان».

ومنهم: من فسّر هذه الآيات في كتابه التفسيريّ بإمعان النظر في المباحث اللغويّة والأُصوليّة والفقهيّة. كشيخ الطائفة الإماميّة على الإطلاق، وأجلّ الفقهاء والمفسّرين أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ أعلى الله مقامه الشريف، فإنّه قدّس سرّه ذكر مباحث مفيدة وغنيّة ونافعة في تفسير هذه الآيات في كتابه القيّم التبيان في تفسير القرآن. ولذا كان رأي قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة أن يقوم بإفراد هذه الآيات مع شروحها وما جاء فيها من آراء في كتاب مستقلّ منفرد في نسقه، وتقديمه لأهل الفقه والعلم

www.ketab.ir

والاستنباط. وقد شرع الأفاضل في هذا القسم منذ سنوات بتدوين هذا الكتاب، وأيضاً: قاموا بتصحيح المتون التي دوّنوها من نسخ كتاب التبيان المطبوعة والمخطوطة، وهي:

١ ـ النسخة المحفوظة في مكتبة الروضة الرضويّة المقدّسة في مشهد الرضا عليه السلام وعدد أوراقها ٢٥٠ صفحة، وحفظت برقم ١١٦١١.

٢ ـ نسخة أُخرى مكمّلة للنسخة الأُولى. عدد أوراقها ٢٧٥ صفحة، وحفظت برقم ١١٥٦١. وقد رمزنا لهاتين النسختين برمز [فريد].

٣ ـ النسخة الثالثة، وهي النسخة المحفوظة في المكتبة الرضويّة أيضاً، وعدد أوراقها ٣٨٧ صفحة، والمحفوظة برقم ١٢٧٢٧، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٨٤هـ ـ ق، وقد رمزنا لها برمز [ك].

وقد سعى الإخوة الفضلاء في القسم إلى مقابلة هذه النسخ مع متون أُخرى، وقاموا بشرح المفردات المبهمة والغريبة، والتي تتطلّب شرحاً لغوياً مناسباً لمتن الكتاب، وقاموا باستخراج النصوص من مواضعها ومصادرها المذكورة في المتن، لتحقّق الفائدة للقرّاء الكرام، ومن ثم قام الإخوة الأفاضل بمراجعة نهائيّة، للاطمئنان على ما قاموا بتدوينه عبر سنوات من العمل.

وقد نهض بهذه المهمّة مشكوراً كلّ من:

١ ـ حجّة الإسلام الشيخ عليّ الاعتماديّ.

٢ ـ حجّة الإسلام الشيخ عليّ الحاجي آباديّ.

٣ ـ حجّة الإسلام الشيخ عليّ النمازيّ.

٤ ـ حجّة الإسلام الشيخ محمّد عليّ الملكيّ.

www.ketab.ir

٥ـ حجّة الإسلام الشيخ هادي عليزاده.

٦ـ الأخ السيّد طالب الموسويّ.

وحريّ بنا أن نذكر بالخير والدعاء حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عليّ أكبر الإلهيّ الخراسانيّ المدير السابق للمجمع، وحجّة الإسلام المرحوم الشيخ محمّد حسين إيزدخواه لتحمّله عناء تحرير مسوّدة الكتاب في مراحل العمل الأولى. ونسأل المولى أن يتقبّل هذا العمل، وأن يوفّقنا والمحقّقين الأفاضل في قسم الفقه لإنجاز أعمال أُخرى ينتفع بها الطلّاب والعلماء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

مهديّ شريعتي تبار

مدير مجمع البحوث الإسلاميّة

www.ketab.ir

المقدّمة

بقلم الأُستاذ عادل عبد الرحمان البدريّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد المصطفى خير الأنام، وعلى أهل بيته الأئمة الأطهار وعلى صحابته العدول المنتجبين الأخيار الميامين.

مقدّمة كتاب آيات الأحكام من تفسير التبيان الشيخ الطوسيّ الفقيه الأُصوليّ والمفسّر

الاسم، والنشأة، والولادة:

هو الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي، عماد الشيعة وفخر الدين والشريعة، الملقّب بـ«شيخ الطائفة»، وهو شيخ الطائفة الإماميّة جدارة واستحقاقاً، وإليه تلوى الأعناق، وصنّف في جميع علوم الإسلام، ولم يعرف في تاريخ المسلمين عموماً، وفي تاريخ الشيعة الإماميّة على وجه الخصوص، شخص له هذا الحظّ من الكتب والآثار التي حوت من فنون المعارف والعلوم التي حازها بجدّ ومثابرة، وكان التوفيق والتسديد

www.ketab.ir

الربّانيّ له خير ناصر ومعين في هذه الكتب والآثار المباركة التي رافقت العصور والأزمان، وما زالت مرجع العلماء والفقهاء، وكأنّه ورث علوم الأوّلين واختزلها في مكتوباته. وقد أجاد فيه من قال:

شيخ الهدى والطائفة أثر القرون السالفة

وكان الزمن الذي رأت فيه عيناه هذه الحياة الفانية هو القرن الرابع الهجريّ، وهو القرن الذي دنا من عصر الغيبة الصغرى والكبرى، أو كاد. ولربّما شملته بركة السفراء الذين كانوا إلى عهد قريب أُمناء ووكلاء الإمام الغائب إمام العصر والزمان عليه الصلاة والسلام الذي وضعهم كأبواب ومدن يلجها ويدخل إليها أتباع الطائفة الإماميّة، فيتعرّف الوكلاء أوضاع الطائفة وهمومها، فيصل هذا الاطّلاع إلى مسامع الإمام المنتظر الغائب عن الأبصار عليه وعلى آبائه الصلاة والسلام، وكانت الناحية المقدّسة التي صارت ملاذ الشيعة في مدّة زمنيّة حسّاسة، وبدت هذه الناحية المقدّسة وكأنّها آخر وسيلة اتّصال لهم مع نوّاب السماء في الأرض، ومع علمها بتفصيلات أوضاع الشيعة ومسار حياتهم الدنيويّة وما يتعلّق بأمورهم كافّة، إلّا أنّ المناخ السياسيّ الذي لم يكن يسمح بظهور كيان قياديّ علنيّ للشيعة أو ممثّل هذه الطائفة في الحقبة السياسيّة التي أعقبت ولادة الإمام المهديّ عليه وعلى آبائه السلام، غيّب حضور الجهة والناحية التي ينبغي أن تتفاعل مع جماهير الشيعة، لذلك كانت الضرورة تقتضي أن تكون قيادة الطائفة مستترة وبعيدة عن الأنظار. كما أنّ مصالح الطائفة تقتضي أن يكون التواصل مع خاصّتهم وعامّتهم غير مشاهدٍ للعيان وبشكل غير مباشر. وهو ما عرف بطريق السفارة والنيابة عن الإمام المعصوم والغائب عن العامّة، ولكنّه كان متواصلاً مع عدّة

www.ketab.ir

من الأصحاب. وكانت السلطة العبّاسيّة تتسقّط أخباره، فقد كان العبّاسيّون يرقبون الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام ويخشون الخلف الذي سيخرج منه، والذي سيقضّ ويهدم أبنية الباطل ويقيم دولة العدل الإلهيّ، وربّما كان لديهم خشية أن يكون زمانهم الزمن الأخير الذي سيقام على أنقاضه الحكم السماويّ العادل[1] فتحرّكت عيون بني العبّاس نحو بيت الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام لِوَأْد الوليد القادم من بيته عليه السلام، ولكنّه لم يمكّن عيونهم من رؤيته فاختفى وتستّر عنهم، فظلّ غائباً عن الأنظار في مرحلة سمّيت الغيبة الصغرى التي تولّى سفارتها أبو عمرو عثمان بن سعيد العمريّ. فلمّا مضى ولبّى نداء ربّه قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان الذي ظلّ ممسكاً بباب السفارة حتّى عام ٣٠٥ هـ ق فقام أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت بهذا المقام حتّى عام ٣٢٦ هـ ق وقام آخر السفراء بالنيابة حتّى عاجلته المنيّة عام ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ ق لتكون سنة وفاته آخر صفحة من صفحات الغيبة الصغرى، وبناءاً على تقدير تدبّر صاحب العصر والزمان[2]. وكان الإمام المهديّ عليه السلام خلال هذه الفترة اختار بعناية من ثُقاة الشيعة وأوكل إليهم مساندة سفرائه في بعض المهمّات لتذليل الصعوبات التي كانت تعترض تحرّكاتهم بواسطة مراقبة الحكّام وأجهزتهم. وكانت مهمّة الوكيل محدودة بالقياس إلى مهمّة السفير، وذلك؛ لأنّ السفير كان يتّصل بالإمام مباشرة ويأخذ منه التعليمات والتواقيع، ويقوم بأكثر مسؤوليّاته حسب التوجيه الذي يتلقّاه منه، في حين أنّ مسؤوليّة الوكيل في الغالب في حدود

---

(١). غيبة الدولة ومقدّمات الغيبة ٣٢٥.

(٢). يراجع: بحار الأنوار ٥١: ٣٦٢.

www.ketab.ir

منطقته، كاستلام الأخماس، وتسهيل اتّصال الشيعة بالسفراء ليرفعوا إليهم حوائجهم، وتبليغ الأحكام والتوجيه، ونحو ذلك[١]، ويبدو أنّ الوضع في مرحلة الغيبة الكبرى، والتي ما زالت قائمة، كان مشابهاً لوضع الغيبة الصغرى في انتخاب الوكلاء وتعيينهم، إلّا أنّ السفارة قد انتهت، نظراً للمضايقات التي كان يتعرّض لها السفراء، أو حقناً لدماء الشيعة والموالي، ولكن الاتّصال مع صاحب الأمر عليه السلام في أوّل الغيبة الكبرى كان قائماً، ولكن لم تدوّن أخبار هذه الاتّصالات، ولأنّها كانت من نصيب عدّة محدودة، وكما يظهر من أخبارها حاول علماء الشيعة. ومن هنا لم يحصل انقطاع وانفصال عن الشيعة من قبل الإمام الغائب، فالسفراء رحلوا ولكنّ الوكلاء ظلّوا، ولذا كان النوّاب والسفراء والوكلاء من بعدهم المرآة والعدسة اللاقطة لمجمل أوضاع الطائفة، فكانوا يلحظون أحوال الشيعة. فلم تغب عنهم همومهم وأحزانهم وعامّة أوضاعهم، وكانت أكثر اهتماماتهم منصبّة في تأمين سبل الاتّصال مع عموم الطائفة، ومع رواة أحاديث أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّهم الحبل والوسيلة التي تحفظ العلقة بين الشيعة وأئمّتهم عبر العلماء والرواة من كلّ الأقطار والنواحي كانوا يتوافدون على السفراء والنوّاب، وعلى الوكلاء من بعدهم، والذين ربّما ظلّوا إلى سنين ليست بالقصيرة. فهم الذين شكّلوا قنوات الاتّصال مع طبقات الشيعة في أقطار الدولة الإسلاميّة كافّة، ولولا هؤلاء العلماء والرواة الناقلون لأحاديث الأئمّة المعصومين عليهم السلام وأخبارهم، لما كانت هناك مجالس وحلقات ذكر أو مدارس وحوزات يُدرس فيها علوم آل محمّد عليهم الصلاة والسلام. ولذا كان الإمام المنتظر الغائب عليه السلام يوصي

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ٢: ٥٨٠.

www.ketab.ir

بالرجوع إليهم وامتثال أمرهم، وكان السفراء والنوّاب يلحظون هذا الأمر؛ عملاً بتوجيهات الإمام الغائب عليه السلام والذي جاء في التوقيع الصادر منه: «أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم»[1] فكانت أبصارهم تتّجه شاخصة نحو الفقهاء والعلماء الذين عاصروهم، ونحو العلماء الذين سيلدون في الأزمنة التالية لأزمنتهم فيرثون ما لديهم من خزائن علوم أهل بيت النبوّة. ومن هذا اللحاظ ربّما كان الزمان والمكان الذي مرّت عليه رياح التشيّع ونسائمه منتظراً ومحتفياً بالشيخ المؤمّل الذي سيرث زعامة الطائفة، ويرشّ علوم أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. ويرفع منارة التشيّع ويوقد شعلته المضيئة والتي ستبقى متّقدة، فدوّن لنا التاريخ، تاريخ ولادته في هذا القرن ـ القرن الرابع ـ من الزمان في عام ٣٨٥ هـ ـ ق، بعد وفاة الشيخ الجليل محمّد بن علي بن بابويه القمّيّ بأربع سنين، وفي شهر كانت الملائكة تهبط كعادتها كلّ عام، وهو شهر رمضان المبارك الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، وجعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فتألّق القرن الخامس الهجريّ بإيناع زهور شباب الشيخ الطوسيّ وازدهار أيّامه التي كان ينتظر قدومها، فبدأ الشيخ المملوء بالفتوّة والأمل برفد هذا القرن بما أمدّه الله من ذكاء وفهم، فكان القرن الخامس، بمحاصيله العلميّة التي كانت مملوءة بالمعرفة والدراية، فاتحة علوم الحوزات العلميّة للشيعة، وبدايات انطلاق لهم مهّدت للقرون والأعصر اللاحقة التي شهدت ما يمكن أن نسمّيها بقرون النهضة العلميّة للحوزات العلميّة[2]، ولعلّه حظي بلقاء الوكلاء الذين أشرنا

---

(١) الاحتجاج ٢: ٤٧٠.

(٢) ينظر: الكنى والألقاب ٢: ٣٦٢، سفينة البحار ٣: ٢٤٥ (طوس).

www.ketab.ir

إليهم، أو كان الشيخ الطوسيّ من عطاء ليالٍ كان دعاء الصالحين فيها مستجاباً ومرفوعاً إلى السماء بأن يمنّ الله على المسلمين بعبد جامع للعلوم والمعارف، فكان الشيخ الطوسيّ هو من بركات دعاء الأولياء والصالحين على عصره وما أعقبه من عصور. وكانت بدايات الشيخ هي مدينة طوس الواقعة في إقليم خراسان من بلاد فارس، هذا الإقليم الغنيّ بالعلماء والفقهاء والأدباء، فخرج من أردانه جماعات كثيرة، من العامّة والخاصّة، ما زالت آثارهم ماثلة على ذاكرة الزمان، وربّما كان الشيخ الطوسيّ تاجهم ودرّتهم المضيئة التي ما زالت تستدلّ في حلقات الدرس والبحث العلميّ، فلايخلو محفل علميّ أو درس حوزويّ أو جامعيّ من تشعشعات ذكره ومباني أفكاره، ونسيم أنفاسه العلميّة المبارك. وكانت حلقات الدرس العلميّ في سالف أيّامها قد يمّمت وجهتها في الفقه نحو ما اختارت واتّخذت متن كتابه النهاية مادّة للبحث والدرس، فتداولوا شرح كتاب طلبة العلوم الدينيّة، إلّا أنّ جماعة من علماء الشيعة كانوا يتحادثون ببغداد ريثما يكمل كتاب النهاية وترتيب أبوابه وفصوله. فكان كلّ واحد منهم يعارض الشيخ المفيد أبا جعفر الطوسيّ ﷺ في مسائل، ويذكر أنّه لا يخلو من خلل، ثمّ اتّفق أنّهم خرجوا لزيارة المشهد المقدّس بالغريّ على صاحبه السلام. وكان ذلك على عهد الشيخ الفقيه أبي جعفر الطوسيّ، وكان يتخالج في صدورهم من ذلك ما يتخالج قبل ذلك، فأجمع رأيهم على أن يصوموا ثلاثاً ويغتسلوا ليلة الجمعة ويصلّوا ويدعوا بحضرة مولانا أمير المؤمنين ﷺ على جوابه فلعلّه يتّضح لهم ما اختلفوا فيه، فسنح لهم أمير المؤمنين ﷺ في النوم وقال: لم يصنّف مصنّف في فقه آل محمّد ﷺ كتاباً أولى بأن يعتمد عليه ويتّخذ قدوة، ويرجع إليه، أولى من

www.ketab.ir

كتاب النهاية الذي تنازعتم فيه، وإنّما كان ذلك لأنّ مصنّفه اعتمد فيه على خلوص النيّة لله، والتقرّب والزلفى لديه، فلاترتابوا في صحّة ما ضمنه مصنّفه، واعملوا به وأقيموا مسائله، فقد تعنّى في تهذيبه وترتيبه، والتحرّي بالمسائل الصحيحة بجميع أطرافها[1]. وكانت مسائل الشيخ وتفريعاتها، بل أكثر موضوعاته منتزعة من روح وفقه وعلم أُستاذه الجليل الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان البغداديّ، المتوفّى سنة ٤١٣ هـ ق، والذي كانت تحوطه عناية إمام العصر والزمان الإمام محمّد بن الحسن المهديّ عليه الصلاة والسلام في درسه وبحثه وكتبه، وكما سنشير لذلك.

التطوّر والتجديد في علم الفقه لدى الشيخ الطوسيّ

الأصل اللغويّ في الفقه هو العلم بالشيء والفهم له، يقال: فَقِه الرجلُ يَفْقَه فِقْهاً فهو فقيه، والجمع فقهاء، وقالوا فَقُه في معنى الفِقه أيضاً. وقولهم: فَقِه عنّي، أي فَهِم عنّي[2] ثمّ خصّ به المعنى الاصطلاحيّ المتداول، والمراد به: علم الشريعة وأحكامها، وغلب على علم الدين؛ لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، كما غلب النجم على الثريّا، والعود على المَنْدَل. والمَنْدل عود الطيب الذي يتبخّر به، من غير أن يخصّ الهندي. وقيل: هو العود الرطب، وقيل: هو بلد بالهند. وقولهم: أُوتي فلان فقهاً في الدين، أي: فهماً فيه. ودعا النبيّ ﷺ لابن عبّاس فقال: «اللهمّ علّمه الدين وفقّهه في التأويل» أي: فهّمه تأويله ومعناه[3]، والعالم بهذا العلم الذي صار بالمعنى المتداول

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٥٠٦.

(٢) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٦١ (فقه).

(٣) لسان العرب ١٣: ٥٢٢ و١١: ٦٥٤ (فقه) و(ندل).

في زماننا، أي الاستنباط والإفتاء، يسمّى فقيه الإسلام، فمن المعنى الأوّل الذي قاله أهل اللغة جاء قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١] قال الشيخ الطوسيّ في تفسيره: كلّ شيء يسبّح بحمده، من جهة خلقته، أو معنى صفته؛ إذ كلّ موجود سوى القديم تعالى حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع، صنعه أو صنع من صنعه، فهو يدلّ على تثبيت قديم غنيّ بنفسه عن كلّ شيء سواه[٢]. ومن المعنى الثاني الاصطلاحيّ جاء قوله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[٣] أي: ليكونوا علماء به. وعلم الفقه منذ نشأته وإلى عصرنا الحاضر مرتبط بحياة المسلمين اليوميّة، ولذلك يرى المسلمون أنّ علم الفقه علم ضروريّ وحيويّ؛ لأنّه يرتبط بعباداتهم اليوميّة وسلوكاتهم، ومن هنا كانت هناك حاجة ماسّة لعلم الفقه ورجاله، على مرّ العصور والأزمان.

والحقّ: أنّ علم الفقه ليس كبقيّة العلوم التي يمكن طرحها أو الاستغناء عنها، فعلم الفقه يعني: علم الدين والتكليف الشرعيّ. وكان علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم يقولون عن الفقه الذي يمارسونه: هذا العلم هو كياننا ووجودنا وبه قوامنا، وهو العلم الذي وجب تعلّمه والنهوض به، ولكنّهم قالوا بأنّه واجب كفائيّ، مستدلّين بقوله تعالى ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٤]

---

(١) الإسراء (١٧): ٤٤.

(٢) التبيان ٦: ٤٨٢.

(٣) التوبة (٩): ١٢٢.

(٤) التوبة (٩): ١٢٢.

www.ketab.ir